هشام عواض

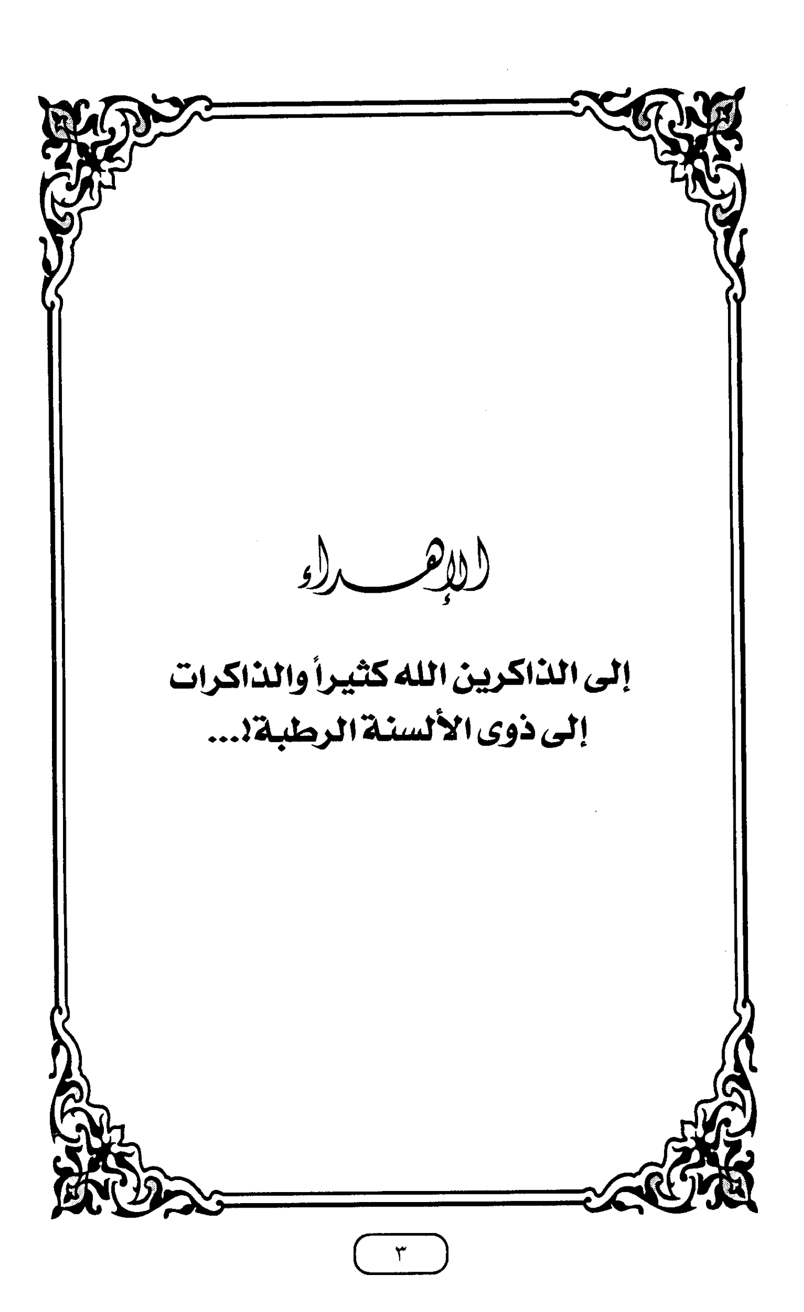
من الصلوات النافعة

• صَلاة الاسْتِخَارة
• صَلاة الحَاجَة
• صَلاة التَسَابِيح
• صَلاة التوبَة

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

تليفون :٣٥٥١٧٤٨: ـ ٣٥٤٤٧٤٨ فاكس ٣٥٤٦٠٣١



الإهداء

إلى الذاكرين الله كثيراً والذاكرات
إلى ذوى الألسنة الرطبة!...



المقدمة

الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على مَن جُعِلَت قُرة عينه فى الصلوات، وعلى آله وصحبه والتابعين . .

وبعد :

فإن الصلاة – المكتوبة وغير المكتوبة– هى العمود الرئيسى فى داخل البناء الإسلامى، من أقامها فقد أقام دين الإسلام، ومن هدمها– بعد إقامتها أو بالانتقاص منها– فقد هدم الإسلام . .

يقول رسول الله ﷺ : «إن أول ما يحاسب به العبد بصلاته، فإن صَلُحَت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»(١) .

فالصلاة هى الأساس الذى يُبنى عليه قبول الأعمال الصالحة، بل إنها المدخل إلى النظر فى تلك الأعمال . .

فعن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال : «بلغنى أن أول ما يُنْظر فيه من عمل العبد الصلاة، فإن قُبِلت منه نُظِر فيما بقى من عمله، وإن لم تُقْبل منه لم يُنْظَر فى شىء من عمله»(٢) .

هذا فضلا عن الفوائد الجليلة للصلاة التى يجتنيها العبد من الاطمئنان النفسى والسكينة القلبية، وإزالة الخوف وإذهاب الحَزَن، لهذا

---

(١) رواه أحمد والنسائى والترمذى .

(٢) رواه مالك مرفوعاً .

كان رسول الله إذا حَزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة[1].

وكان ﷺ يقول: «ما أذن الله لعبد فى شىء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البرَّ لَيُذَرُّ فوق رأ العبد ما دام فى صلاته»[2].

وليس المقصود بـ «الصلاة» الصلوات الخمس المكتوبة فحسب، وإنما ينصرف المعنى شاملاً جميع الصلوات المكتوبة وغير المكتوبة، فإن الصلوات النوافل مكمِّلة ومتمِّمة ومصحِّحة للصلوات الخمس..

يقول ﷺ: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربُّنا للملائكة- وهو أعلم: انظروا فى صلاة عبدى أتمَّها أم نقصها؟. فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع؟. فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه. ثم تُؤخذ الأعمال على ذلك»[3].

هذا إلى جانب أن الصلوات النوافل جالبة لحب الله تعالى، الذى هو طريق لجعل العبد ربَّانيا، مجاب الدعوة..

يقول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة: «من عادى لى وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به،ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه،ولئن استعاذنى لأُعيذنَّه»[4].

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه أبو الترمذى.
(٣) روه أبو داود.
(٤) رواه البخارى.

وواضح أن هذه هى الغاية من الصلوات، فإذا حققها العبد فقد وصل إلى الغاية، وإلا فعليه السعى الدائب والمستمر للوصول إليها..

يقول عدى بن زيد:

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى — وأبعده منه إذا لم يسدد

فصلوات التطوع أو النوافل تدخل تحت طاعة الرسول ﷺ التى أمرنا بها ربُّنا عز وجل وقرنها بطاعته ..

وجعلها جالبة لرحمته تبارك وتعالى:

- (أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)[1].

ثم هى تحى قلب العبد من هموده:

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. ﴾[2].

وهى جالبة- كما قلنا- لحبه تعالى، وغفرانه عز وجل:

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم ﴾[3].

وطاعة الرسول ﷺ هى الهداية إلى الصراط المستقيم:

---

(١) آل عمران: ١٣٢.

(٢) الأنفال: ٢٤.

(٣) آل عمران: ٣١.

- ﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴾[1].

وطاعته ﷺ هى الطريق الأمثل لله عز وجل:

- ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾[2].

وعصيان الله أو عصيان الرسول تؤدى إلى بطلان الأعمال:

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾[3].

لهذا كان ﷺ حريصاً على حث أتباعه على الاهتداء بهديه والاقتداء بسنته والسير على النهج الذى اختطه، فكان يقول فى مفتتح كل درس:

«إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار»[4].

وقد حرص ﷺ فى هذا الحديث الشريف أن يَقْرن السنة بالبدعة، فمدح السُّنَّة، وذم البدعة، فإنْ كل إخلال بالسُّنَّة يقابله- لا محالة- بدعة تحل محلها تساويها إن لم تعلُ عليها.

---

(١) المؤمنون : ٧٣ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) المائدة : ٩٢ .

(٤) رواه البخارى .

وقد أثاب الإسلام كل من سَّن فيه سُنَّة حسنة، وأثَّم كل من سنَّ فى الإسلام سُنَّة سيئة..

يقـول ﷺ : «من سَنَّ فى الإسـلام سُنَّة حسـنة فله أجـرها وأجـر من عـمل بهـا بعـده من غـيـر أن ينقص من أجـورهم شىء، ومن سَنَّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»[1].

هذا لمن سَنَّ فى الإسلام سَنَّة حسنة أو سُنَّة سيئة، فما بالك بأجر من اقتدى بسُنَّة النبى ﷺ، أو إثم ووزر من ابتدع وشرع فى دين الله مالم تأت به سُنة النبى ﷺ ؟!!..

يقـول ﷺ : من اقـتـدى بى فـهـو منى، ومن رغب عن سنتى فليس منى»[2].

والبـدع فى الدين، والإعـراض عن سنة النبى ﷺ تكون بالغُلوّ كما تكون بالتهاون والنقص..

يقول ﷺ : «لكل عمل شِرَّة[3] ولكل شِرَّة فِتْرة[4]:فمن كانت فترته إلى سُنَّتى فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) النشاط والهمة والحدة والحماسة.

(٤) المراد بالفترة هنا الاعتدال، لأنها فتور من حدة.

(٥) روه ابن حبان.

وداخل الإطار العام لنقص عُرَى الإسلام، أُميتت سُنن كثيرة عن النبى ﷺ بعد أن أُميتت فرائض وواجبات نتيجة للعجز والجهل والكيد ..يقول عُمْرو بن زعبل التميمى:

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيُحْسَب جهلاً أنه منك أفهمُ

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

قد تنبأ رسول الله ﷺ بهذه الحالة فى الحديث الذى رواه حذيفة عنه ﷺ أنه قال: «سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث:

١- درهم حلال.

٢- أو أخ يستأنس به.

٣- أو سُنَّة يُعْمَل بها»[١].

وهو ﷺ يحث على إحياء سنته بالعمل بها وتعليمها للناس، ويَعِدُ من يقوم بهذا العمل بطيب العيش والسعادة والغبطة ..

يقول ﷺ: «إن الدين بدأ غريب ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من بعدى من سُنَّتى» وفى رواية: «الذين يُحْيُون سُنَّتى من بعدى ويُعلِّمونها الناس»[٢].

هذا العيش الطيب وهذه السعادة التى وعد بها رسول الله ﷺ تكون

---

(١) رواه الطبرى مرفوعاً.
(٢) رواه الترمذى.

أثراً للاتباع والعمل بسنة النبى ﷺ المهجورة، وتعليمها للناس وتكون جزاءاً على هذا الاتباع والإخلاص فيه . .

يقول المغيرة بن حبناء :

ولا خير فى عيش امرىء لا ترى له وظيفة حق فى ثناء وفى أجر

ولا يقتصر الأمر على السعادة فى الدنيا، وإنما يمتد إلى السعادة فى الآخرة، فقد روى رزين عن على بن أبى طالب مرفوعاً قول النبى ﷺ : « من أحيا سُنَّة من سُنَّتى أُميتت بعدى فقد أحبنى، ومن أحبنى كان معى » .

وإن تعجب فاعجب للصحابى الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه، فقد دخل عليه الزهرى يوماً فوجده يبكى، فسأله : ما يُبكيك؟ . قال رضى الله عنه : (لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ! وهذه الصلاة قد ضُيِّعت[1] !!)

إن الصحابى الجليل كان خادماً لرسول الله ﷺ عالماً بكل أحواله وأقواله وأفعاله فى بيته وخارج بيته، يرى أن أحوال المسلمين مخالفة تماماً لسُنَّة النبى ﷺ ولم يَبْقَ من مظاهرها إلا الصلاة، وحتى الصلاة قد ضُيِّعت بقِلَّة الاهتمام وقلة الخشوع والسهو والكسل، ولم يستطع رضى الله عنه أن يحتمل هذا التناقض الصارخ فبكى!!! . .

إن علينا أن نتحرَّى سُنَّة النبى ﷺ نتعلمها، ونعمل بها،ونعلِّمها للناس من حولنا نحقق بها سعادتنا المنشورة، وطيب العيش المرتجى،

(١) روه البخارى .

والعزة المبتغاة، وليكن بين أعيننا قوله : «إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا».

ولتكن البداية هى الصلاة، لأنها كما علمنا هى الأساس الذى بدونه لا يقوم أى بناء . .

يقول ﷺ : خذوا عنى مناسككم»[1].

ويقول ﷺ : «صلّوا كما رأيتمونى أصلى»[2].

وتشترك جميع الصلوات- المكتوبة وغير المكتوبة- فى تعريفها شرعاً بأنها : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وبشرائط مخصوصة علّمنا إياها رسول الله . .

وإلى جانب السنن الراتبة للفرائض (الصلوات الخمس)، هناك صلوات أخرى فى أوقات معينة صّلاها رسول الله ﷺ وأمر بإقامتها، كصلاة الضحى، وقيام الليل (التهجد)، وصلاة التراويح، والوتر ولا تختلف هذه الصلوات فى إقامتها عن صلاة الفرض والسنن الراتبة.

إلا أن هناك نوعاً مخصوصاً من الصلوات علّمنا إياها رسول الله ﷺ تختلف عن بقية الصلوات سواء فى اقترانها بدعاء معين، أوبأذكار فى مواضع معينة، أو فى كيفية الأداء ذاتها من ركوع وسجود . . .

هذه الصلوات علّمنا إياها رسول الله ﷺ كى نقيمها فى مناسبات مختلفة أو أوقات منتظمة أو أحوال شخصية أو فلكية عيَّنها لنا . .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى .

وتشترك هذه الصلوات فى كونها نسق متكامل لوقاية المسلم وسْط معترك الحياة وتيارها الجارف، وهدايته،ولتكون سلاحاً له فى هذه الحرب المستعرة بين الحق والباطل.. بين العلم والجهل .. بين الإيمان والكفر ..

يقول البحترى:

أرى الإغواء غولاً للنفوس،وإنما يقى الله فى بعض المواطن من يقى

وهذه الصلوات قد خَفَتَ الضوء المسلط نحوها- رغم ضرورتها لحياة المسلم- وضعف الاهتمام بتعليمها- وسْط حملة التجهيل المتعمدة لكل ما يتعلق بالإسلام الصحيح ونظراً لشغف المسلمين واشتياقهم للتعرف عليها، كان هذا الكتاب:

« صلاة الاستخارة وأخواتها »

منظومة عبادية مستمرة موصلة ومقربة من الله عز وجل..

تشترك هذه المنظومة فى اقترانها بالدعاء، حيث أن الصلاة فى أصلها اللغوى تعنى: الدعاء.

واقتران الصلاة بالدعاء واضح فى كل أذكارها..

يقول الله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾[1].

---

(١) الإسراء: ١١٠.

ويقول عز وجل: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذورا﴾[1].

عسى الله أن يجعلنا ممن يعينون على إحياء سنة نبيه ﷺ ويعينون على تجديد ما اندثر من دينه سبحانه.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) الإسراء: ٥٧ .

على العبد قبل أن يشرع فى القيام بأى من الصلوات القادمة أن يلتزم بالآداب التالية :

* أن يتأكد من مصادر أمواله من حلال أم من حرام . .

يقول ﷺ : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى :

﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إنى بما تعملون عليم ﴾[1] وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكرو الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾[2] .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء :

يا رب ! ! يا رب ! !

ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأَنَّى يستجاب له ؟ !»[3] .

*أن يتأكد من طهارة البدن والثوب والمكان

* أن يستحضر معانى الدعاء بكل قلبه مع خفض الصوت، مع

(١) المؤمنون : ٥١

(٢) البقرة : ١٧٢

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة .

الخشوع والتأدب.

يقول الله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، إنه لا يحب المعتدين﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه»[2].

* أن يُلحَّ فى الدعاء، فيكرر الدعاء فى كل صلاة (بعد كل صلاة) ثلاث مرات كما كان ﷺ يفعل.. ولا يفتأ يكرر الصلاة والدعاء، فإنهما فى ذاتهما ذكر وعبادة..

يقول الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾[3].

* * *

ويضمن العبد إجابة دعائه إذا دعا الله تعالى« دعاء المضطر» حين تغلق فى وجهه كل الأبواب، وتنفذ وتمتنع عليه جميع الأسباب، ولا يجد ملجأ من الله إلا إليه سبحانه..

يقول الله تعالى: ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوأ ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله، قليلاً ما تذكرون﴾[4].

---

(١) الأعراف: ٥٥ .
(٢) متفق عليه .
(٣) غافر: ٦٠
(٤) النمل: ٦٢

وعليه أن يدعو فى صلاته أو خارجها بصيغة المفرد، كأن يقول: «رب اغفر لى وارحمنى»، إلا أن يكون إماماً قانتاً يدعو لنفسه و لمن خلفه، أو يكون داعيا لنفسه وللمسلمين كما أُثِر عن النبى ﷺ.

أما الصلاة فينبغى أن تكون بخشوع تام لا يرفع فيها العبد رأسه بل يطأطئها تواضعاً لله تعالى، وكذلك لا يرفع نظره لأبعد من طرف أصبعه السبابة عند التشهد كما أُثِر عن النبى ﷺ..

ولا يكون القلب بأقل من الرأس والنظر فى الخضوع والخشوع..

وكقاعدة عامة، صلاة التطوع فى البيت أفضل من إقامتها فى المسجد .. يقول ﷺ: «صلوا أيها الناس فى بيوتكم، فإن أفضل صلاة الرجل فى بيته إلا المكتوبة»[1].

* * *

(١) متفق عليه.

لم تعد الحياة – كما كانت فى السابق– تلك الحياة البسيطة الهادئة، ذات الإيقاع المنتظم والبطئ، ولكنها أصبحت فى ظل التغيرات الجذرية والتقدم المذهل فى جميع الميادين متشعبة ومرهقة للإنسان، مما جعل متحيراً فى أمور كثيرة تعرض له أثناء حياته القصيرة على الأرض..

فإلى من يلجأ؟ وبمن يستعين؟ وبمن يستخير؟ وبمن يستقدر؟

إن الإسلام قد كفى الإنسان المسلم هذه الحيرة وشرع له صلاة الإستخارة..

معنى الإستخارة:

الاستخارة أصلها [خير]..

ورد فى « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس باب (الخاء والياء وما يثلثهما) الخاء والياء والراء: أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه.

والخِيَرَةُ: الخيار. والخِيَرُ: الكرم. والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين.. وكل هذا من الاستخارة وهى الاستعطاف .

* * *

وورد فى « لسان العرب » باب (الراء): خير

خار الشيئ واختاره : انتقاه واصطفاه .

والخير : أى الأفضل .

وقوله عز وجل : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخِيرَةُ ﴾[1] .

قال الزَّجَّاج :المعنى .. ربك يخلق ما يشاء وربك يختار وليس لهم الخيرة وما كانت لهم الخيرة : أى ليس لهم أن يختاروا على الله .

قال : ويجوز أن يكون « ما » فى المعنى « الذى » فيكون المعنى : الذى لهم فيه الخيرة .

وفى الحديث : « تخيروا لنطفكم .. » .. قال الزجاج : « الخيرة » التخيير ..

والاستخارة : طلب الخيرة فى الشئ،وهو استفعال منه .. وخار الله لك أى أعطاك ما هو خير لك .

ويقال : استخر الله يُخِرْ لك، والله يخير للعبد إذا استخاره واستخار الله : استعطفه ودعاه .

والأختيار : هو طلب خير الأمرين .

* * *

وورد فى « مختار الصحاح » باب (خير) :

---

(١) القصص : ٦٨ .

الخير ضد الشر وبابه باع، تقول: خار الله لك أى اختار.

وامرأة خِيَرَة وهى الفاضلة من كل وجه.

يقول الله تعالى: ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾[1].

والاختيار: الاصطفاء وكذا التخير..

والاستخارة: طلب الخِيَرَةَ .. يقال: استخر الله يُخِرْ لك.

وخَيَّره بين الشيئين: فوَّض إليه الخيار.

* * *

وورد فى «تاج العروس» للزبيدى:

الخير: الشئ النافع..

والخير نوعان: خير مطلق كما وصف رسول الله ﷺ الجنة، وخير مقيد كالمال، فإنه قد يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو ..

وخار الله لك فى الأمر: جعل لك ما فيه الخير..

وفى المثل: (إن فى الشر خياراً) أى ما يُخْتار.

والخِيَرَةُ: الحالة التى تحصل للمستخير.

* * *

هذه هى خلاصة معنى الاستخارة من أكبر المراجع والقواميس اللغوية

---

(١) الرحمن: ٧٠

فى اللسان العربى بعد استبعاد التكرار، وهى تمثل فى مجموعها المعانى المتكاملة للاستخارة فى خلاصة مركزة . .

ما هى الاستخارة؟..

الاستخارة شرعاً : هى صلاة من غير الفريضة يصليها المسلم (أو المسلمة) الذى لم يعتزم أمراً بعد يعقبها دعاء فيه من معانى التفويض والتوكل على الله تعالى وتوثيق الصلة به سبحانه والرضا بقضائه والثقة فى حكمه والرجاء الذى فيه خروج العبد من إرادته إلى الرب، ومن قدرة العبد إلى قدرة الرب، والذى يجعل قلب العبد قريب من ملاطفة الرب، ويُخْرج العبد من حوله وقوته إلى حول الله سبحانه وقوته . .

فهى باختصار : استئناس هوى العبد بهدى الله . .

يقول الله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدى القوم الظالمين . ولقد وصَّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾[1] .

والعبد يسأل الله تعالى فيها أن يخير له فى عمل ما . .

يقول الله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، أين ما تكونوا يأت بكم جميعاً ﴾[2] .

يقول عز وجل : ﴿ وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَة من أمرهم، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً

---

(١) القصص : ٥٠ – ٥١ .

(٢) البقرة : ١٤٨ .

مبيناً ﴾(1).

وبُناء على هذا فإن صلاة الاستخارة لاتقوم إلا للأمور التى يلتبس على المسلم وجه الخير فيها..

فإن الله تعالى هو الذى يوحى إلى عباده فعل الخيرات..

يقول الله تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾(2).

أهمية الاستخارة وضرورتها:

* صلاة الاستخارة هى المدخل الصحيح للإقدام على كل الأمور، وباب الهداية لإنجاحها..

يقول الله تعالى: ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾(3).

فإن أخذ أول كل أمر بجد وتريث واستقامة، فإن خاتمته تكون مستقيمة موفقة، أما إذا اعوج الأمر بالتوجه الأرعن والتسرع والاندفاع، فإن خاتمته – غالباً– توافق أوله..

يقول الشاعر:

إذا ضيعت أول كل أمر ... أبت أعجازة إلا التواء

(1) الأحزاب: 36

(2) الأنبياء: 73 .

(3) البقرة: 269

* وصلاة الاستخارة فيها استلهام للحق ونبذ للباطل، واستجلاب للخير ونبذ للشر، وخروج من محدودية العلم والقدرة والنظر للعبد إلى العلم المطلق والقدرة المطلقة والنظر المطلق لله عز وجل..

يقول قيس بن الخطيم:

متى تُقِدْ بالباطل الحق يأبه　　وإن قدت بالحق الرواسى تَنْقَد

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه　　ضللت،وإن تدخل من الباب تهتد

ويقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ ..إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾[1].

يقول أبو قلابة الهذلي:

إن الرشاد وإن الغى فى قرن　　بكل ذلك يأتيك الجديدان

لا تأمنن وإن أصبحت فى حرم　　إن المنايا بجنبى كل إنسان

ولا تقولن لشئ سوف أفعله　　حتى تبين ما يمنى لك المانى

إن صلاة الاستخارة فيها من معانى التفويض الذى هو قمة درجات التوكل على الله تعالى ما يجعل العبد ميسراً إلى كل خير..

يقول بعض العلماء: (متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلا).

ويشرح أبو على الدقائق درجات التوكل فى قوله:(التوكل ثلاث

---

(١) الصافات: ٩٩ .

درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض .. فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه).

وقال آخر: (التوكل الأخذ من الله تعالى).

وحين سئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ قال: (إذا رضى بالله تعالى وكيلا).

وعرفه أبوعثمان الحيرى بقوله: (التوكل: الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه).

وحين سئل الحسن بن على عن التوكل قال: (الرضا عن الله)[1].

وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول: (إن أشد آية فى القرآن تفويضا: ﴿ .. ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾[2].

والتوكل والتفويض فى صلاة الاستخارة يجعل فيها من راحة القلب واطمئنان النفس ما يبين مدى أهميتها وضرورتها لحياة الإنسان، وما يعتوره أثناء سعيه فيها ..

يقول كعب بن زهير:

لو كنت أعجب من شيئ لأعجبنى*سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

---

(١) أخرجه البيهقى .

(٢) الطلاق : ٣٠ .

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الأثر

وقال أحدهم: إنك إن فوَّضت أمرك إلى الله تعالى، اجتمع لك فى ذلك أمران:

١- قلة الاكتراث بما قد ضمن لك.

٢- وراحة البدن من مطلوب ذلك.. فيُكْفَى الهمُّ ويعقب الراحة!.

وتفويض الأمر إلى الله تعالى وقاية للعبد..

وقاية من الشيطان: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون﴾[1].

ووقاية من كافة مظاهر السوء..

يقول الله تعالى: ﴿.. وأفوِّض أمرى إلى الله، إن الله بصير بالعباد. فوقاه الله سيئات ما مكروا..﴾[2].

ومَنْ غير الله يكون واقياً للعبد، إن لم يلجأ العبد إلى مولاه سبحانه؟!..

يقول كعب بن زهير:

لَعَمْرُك ما يدرى امرؤ كيف يتقى إذا هو لم يجعل من الله واقيا

(١) النحل ٩٩.
(٢) غافر: ٤٤، ٤٥.

صلاة الاستخارة عصمة من الوقوع فى هُوَّة اتباع الهوى الذى فيه هلاكه والذى يدل على جهله..

يقول الأخطل:

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

ويقول:

وإنَّ امرءاً لا ينثنى عن غِواية إذا ما اشتهتها نفسه لجهول

فإن كان عبداً عاقلاً رجع حينئذ إلى ضعف نفسه، وإلى ذكر قوة ربه تعالى، فرغب إليه فى المعونة من عنده على أداء حقوقه ورعايته وناجاه بقلب راغب راهب:

إنى أنسى إن لم تذكرنى، وأعجز وأضعف إن لم تقونى، وأجزع إن لم تصبرنى[1].

صلاة الاستخارة فى جوهرها هى القيام بفريضة من خلال إقامة صلاة التطوع.. هذه الفريضة هى فريضة التوكل على الله تعالى التى تشمل عموم المسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ .. إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾[2] ويقول عز وجل: ﴿ .. وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾[3].

---

(1) الرعاية لحقوق الله للمحاسبى.

(2) البقرة: ١٨٤ .

(3) البقرة : ١٨٤ .

فإن فى التفويض ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله تعالى له، والثقة فى الله تعالى سواد عين التوكل، ومركز دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم كما يقول العالم الربانى أبو إسماعيل الهروى.

صلاة الاستخارة هى خير للعبد فى ذاتها لأنها صلاة تطوع مكافء عليها..

يقول الله تعالى: ﴿ .. فمن تطوع خيراً فهو خير له .. ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿ .. ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾[2].

وفى الحث على الاستزادة من الخير والإقلال والتقلل من الشر يقول الأفوه الشاعر:

والخير تزداد ما لقيت به والشر يكفيك منه قل ما زادُ

هذه هى أهمية الاستخارة على المستوى الفردى، أما على المستوى الجماعى فإن صلة الاستخارة تقضى على التردد والذل وتشتت الأهواء وبالتالى نقضى على التفرق وتعمل على توحيد الصف وتوحيد الكلمة، وتوحيد الأهداف والغايات وتوحيد الوسائل مما يدفع بالمجتمع إلى الأمام دائماً حتى يصح فى المقدمة.

وهذا واقع مشاهد على أى مستوى من مستويات المجتمع، فإن تَرْك صلاة الاستخارة فيه أدَّت إلى إصابته بأمراض التخاذل والخزى والوهن الذلّة والمسكنة.

(١) البقرة: ١٨٤.
(٢) البقرة: ١٥٨.

يقول عبيد بن أيوب :

إذا مـــا أراد الله ذل قــبيلـــة ... رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

وأول عجز القوم عما ينوبهم ... تـدافعهم عـنه وطـول التـوكـل

* * *

يتضح مما سبق أن صلاة الاستخارة تُعَدُّ أهم صلاة للفرد والمجتمع بعد الفريضة، لهذا كان رسول الله ﷺ يساوى بيهما وبين سور القرآن الكريم فى تعليمها من فرط اهتمامه بها، ويعلمها الصحابة فى كل الأمور..

ويتضح هذا من قول جابر بن عبد الله رضى الله عنه : (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن..)[١].

من مظاهر اهتمام الصحابة والتابعين بصلاة الاستخارة:

أدرك المسلمون مدى أهمية صلاة الاستخارة على كل مستوياتهم فى كل زمان ومكان، ويتضح هذا من بعض المظاهر التي روتها لنا كتب التراث والتاريخ :

* فكان أهل الحلِّ والعقد لا يرشحون أحداً للخلافة إلا بعد صلاة الاستخارة، وكذلك لا ينتخبون أحداً إلا بعدها..

* وكان خلفاء المسلمين منذ عهد الراشدين لا يقبلون الخلافة إلا

(١) الحديث بتمامه رواه البخارى.

بعد أن يستخيروا ربهم عند عرضها عليها .

*ولما صارت الخلافة وراثية كان الخليفة يستخير ربه قبل أن يعهد بالخلافة لولى العهد . .

فعل ذلك معاوية عن استخلافة يزيد من بعده!![1] .

وقد مزق الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك الوثيقة التى تجعل الخلافة من بعده لولده أيوب عندما استشعر الخطأ بعد أن صلى صلاة الاستخارة فى الإقدام على هذا الأمر الخطير[2] .

*وكان خلفاء المسلمين يستخيرون ربهم كذلك عند تولية أو استعمال أو تعيين أحد فى منصب مُهمٍّ من مناصب الدولة العليا التى تجعل له سلطة على رقاب المسلمين . .

وقد ظل الخليفة المأمون يستخير ربه شهراً كاملاً قبل أن يستعمل عبد الله بن طاهر[3] .

*وكذلك كان الولاة والأمراء يستخيرون ربهم إذا استشكل عليهم وجه الخير فى أمر من الأمور . .

فإن عبد الله بن طاهر لما ولأه المأمون على العراق كتب إليه أبو يوصيه بالاستخارة فى جميع أعماله[4] .

---

(١) الأغانى جـ١٨ ص ٧٢ .
(٢) طبقاة ابن سعد جـ ٥ ص ٢٤٧ .
(٣) السابق جـ ٥ ص ٣٤ .
(٤) طيفور : كتاب بغداد ص ٤٩ .

*ومن هنا كان مدح الشعراء لهؤلاء الأمراء والولاة بأنهم لا ينجزون عملاً، ولا يقدمون على أمر من الأمور إلا بعد استخارة ربهم، وكثيرا ما تكرر عَجُز البيت: « .... إلا ربه استخارا » فى قصائد المدح..

* وكان الجنود المسلمون على كافة مستويات الجيش لا يخرجون للجهاد والحرب إلا بعد استخارة ربهم عزَّ وجلَّ اكتسابا لرضاه والتماساً لوجهه سبحانه..

* وكان علماء المسلمين وأئمة الفقه لا يأخذون بأى رأى فقهى خلافى فيه اجتهاد إلا بعد الاستخارة الشرعية إذا أُغْمِضَ عليهم وجه الحق والخير فيها، وكثيراً ما كان هذا فى الحوارات العلمية(١)...

* وكثيراً ما يذكر العلماء المسلمون فى مقدمات مصنفاتهم على اختلاف تخصصاتهم أنهم استخاروا الله تعالى قبل إقدامهم على التصنيف أو التأليف(٢).

* وكان من الشائع عن عامة المسلمين وخاصتهم أنهم كانوا يقيمون صلاة الاستخارة قبل الإقدام على أى أمر، حتى أنهم كانوا يختارون أسماء مواليدهم بناء على صلاة الاستخارة..

* وكان من الطبيعى بعد كل هذا الاهتمام أن تصل صلاة الاستخارة إلى الآداب الشعبية للمسلمين، ومن هذا التأثير ما ورد فى كتاب « ألف ليلة وليلة » فى قصة (أنس الوجود وورد الأكمام) من أن أم ورد الأكمام

---

(١) تهذيب الأسماء: النووى ص ٢٣٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ: الذهبى ص ٢٨٨ .

قد صلَّت ركعتين للاستخارة كى يلهمها الله الخير فى زواج ابنتها[1]..

كيفية صلاة الاستخارة:

الاستخارة صلاة أفصحت السنة عن بيانها يصلِّيها المسلم عندما يكون معتزماً على أمر من الأمور غَمُض عليه وجه الخير فيها، والتبس عليه الخير والشر: أفى الإقدام أم فى الأحجار؟..

وتكون الاستخارة فى كل الأمور بالشرط السابق..

يقول جابر رضى الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة فى الأمور كلها..)[2].

ويعلق الشوكانى- رحمه الله - على قول جابر رضى الله عنه قائلاً:

(هذا دليل على العموم، وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به فينزل الاستخارة فيه، فرُبَّ أمر يُسْتَخفّ بأمره فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه..).

فتعمل الاستخارة فى الأمور كلها: كبيرها وصغيرها، خاصها وعامّها، جليلها وحقيرها، عظيمها وتافهها..

- جاء فى بعض الآثار: (لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار ولا غال من اقتصد).

---

(١) الليلة ٣٧٣ جـ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) سبق تخريجه .

فينبغى على من يريدالاستخارة أن يجمع قلبه ويُعْمِل عقله فى الأمر الذى ينوى الاستخارة فيه وينظر فيمن سبقه فيأخذ منهم العِبْرة والعظة..

يقول جحدر بن معاوية العكلى:

إذا الأمر ولّى فاتعظ من طلابه   بعقلك، واطلب سبب آخر مقبل

فإنك لا تدرى إذا كنت راجياً   أفى الريث نجح أم فى التعجل

وعلى العبد أن لا يترك الهم يستحوذ عليه، ولا يترك الحزن يذهب بلبه وصواب تفكيره..

يقول بلعاء بن قيس الكنانى:

وإنى لأقرى الهم حين يضيفنى   زماعاً إذا ما الهم أعيت مصادره

وأبغى صواب الظن أعلم أنه   إذا طاش صواب المرء طاشت مقادره

وقد يكره الإنسان ما فيه رشده تلقى على غير الصواب شراشره[1]!!

ثم على العبد أن ينتقى الخُلَّص الذين يستشيرهم فى أمره المحير:

يقول أبو الأسود الدؤلى:

وما كان ذى لب بمؤتيك نصحه   ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعنا عند واحد   فحق له من طاعة بنصيب

ويقول الزبير بن عبد المطلب:

وإن باب أمر عليك التوى   فشاور حكيماً ولاتعصه

(١) شراشره: قطع نفسه المتناثرة !!.

وعليه أن يتثبت من أمره ويتحرى ما وسعه التحرى ..

يقول محمد بن هانئ:

وما الرأى إلا بعد طول تثبُّت   ولا الحزم إلا بعد طول تلوُّم

* * *

وعلى العبد بعد ذلك- وما سبق ليس شرطاً لصحة الاستخارة وتكون صحيحة بدونه- أن يشرع فى صلاة الاستخارة، وهى عبارة عن دعاء يسبقه ركعتان من غير الصلوات الخمس المكتوبة، فيجوز تخصيص ركعتين لها، ويجوز أن تكون من السنن الراتبة لأى صلاة، ويجوز أن تكون من صلاة الليل أو الوتر أو تحية رب المسجد، أو صلاة الضحى أو غير ذلك من الصلوات غير المكتوبة..

- ويستوى أن نصلى فى أى مكان: فى البيت أو فى المسجد أو فى أى مكان طاهر من الأرض..

- وليس هناك آيات معينة تقرأ بعد الفاتحة فى الركعتين..

- ولا تعمل الاستخارة بالجملة، وإنما لكل أمر صلاة ودعاء على انفراد قبل أن تنعقد عليه النيه..

- ويجوز الاستخارة أكثر من مرة على الأمر الواحد، حتى يستقرَّ المستخير على رأى..

---

(١) الشورى والاستشارة من السنة، وذهب البعض إلى كونها فرضاً لقوله تعالى: ﴿وشاروهم فى الأمر﴾، وقوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

فقد ظل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يستخير ربه فى نشر مخطوط يقتنيه للمصنف «أهرمة بن أعين» لمدة أربعين يوماً كاملة فى مصلاه حتى خار الله له[1].

وقد سبق أن المأمون الخليفة العباسى قد استخار ربه شهراً كاملاً فى تولية عبد الله بن طاهر..

- وعلى العبد قبل أن يشرع فى الصلاة أن يكون حريصاً على أن يكون ذكر الله تعالى فى الصلاة وفى الدعاء أحب إليه من الأمر الذى يستخير الله فيه، وأن يكون خيراً عنده من الخير الذى يرتجيه من وراء الاستخارة ودعائها.

وهذا فى كل الصلوات والأدعية والأذكار كقاعدة عامة لا يرى علهيا استثناء..

فقد لام سليمان عليه السلام نفسه على هذا، وساق القرآن الكريم لومه هذا ليعلمنا فى قوله تعالى: ﴿فقال: إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارث بالحجاب﴾[2].

والاستخارة الشرعية كما علَّمنا إياها رسول الله ﷺ هى كما يلى:

---

(١) انظر: ابن أبى صبيعة جـ١ ص ١٦٣.

(٢) سورة ص: ٣٢.

عن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول:

«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك [1] بعلمك، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب..

اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر [2] خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى- أو قال: عاجل أمرى وآجله- فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر [3] شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى- أو قال: عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، ثم اقدر لى الخير حيث كان ثم رضِّنى به» رواه البخارى كتاب التوحيد جـ٤، ص ٢٠٢ .

ولم يحدد الحديث موضوع الدعاء هل هو قبل السلام من الصلاة أم بعده..

والراجح أن كلا الأمرين جائز..

ويذهب ابن تيمية بعد ترجيح كلا الأمرين إلى أفضلية الدعاء قبل

---

(١) استخيرك: أطلب منك الخيره أو الخير.

(٢) (٣) يسمى حاجته فى هذين الموضعين.

السلام فى قوله رحمه الله: (يجوز الدعاء فى صلاة الاستخارة قبل السلام وبعده، والدعاء قبل السلام أفضل، فإن النبى ﷺ كان أكثر دعائه قبل السلام قبل أن ينصرف، وهذا أحسن،والله أعلم) .

والواضح من قول النبى ﷺ أن الدعاء يكون بعد السلام من الصلاة لقوله: « .. ثم ليقل.. » و « ثم » للإمهال وليس للتعقيب والعبد فى صلاة بعد الصلاة ما دام جالساً فى موضعه لم يحدث فيه شيئاً ولم ينصرف عنها إلى ما يشغله من أمور غيرها..

وفى الأمر سعة، والأهم هو توافر شروط صحة الصلاة ومراعاة التنبيهات التى سبق ذكرها مستحضراً فى قلبه كل معانى التوكل والتفويض..

* * *

فإذا صلى العبد صلاة الاستخارة ودعا بدعائها فعليه أن يرضى بقضاء الله حتى لو لم يكن على مراده وهواه..

وقد ورد فى بعض الآثار أن موسى عليه السلام سأل ربه:

– يارب، أى خلقك أعظم ذنباً؟

قال: – الذى يتهمنى.

قال: – يارب، وهل يتهمك أحد؟!!

قال: – الذى يستخيرنى ولا يرضى بقضائى .

وهذا الأثر يتفق مع قول الإمام النووى لمستخير: (ينبغى أن يفعل

بعد الاستخارة ما ينشرح له صدره، فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأساً، وإلا فلا يكون مستخيراً) .

ومعنى كلام الإمام النووى أن يُنحِّى المستخير ميل قلبه السابق على استخارته، وأن يتسنم وجه الخير، فإذا مال قلبه إلى الإقدام على الأمر وإتمامه، فعليه أن يحزم أمره ويعزم .

يقول الشاعر :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ... فإن فساد الرأى أن تترددا

وانشراح الصدر، واستفتاء القلب . . لها فى الإسلام مكان ومكانة عن النواس بن سمعان رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال : « البر حسن الخلق، والإثم ماحاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس »[1] .

فجعل « البر » سلوكاً عمليا، وجعل الإثم إحساساً وشعوراً يحرص صاحبه على إسراره وعدم إعلانه . .

وعن وابصةَ بن مَعْبد رضى الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البرِّ والإثم ؟ » قلت : نعمَ . قال ﷺ : « استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك »[2] .

وفى هذا الحديث نفس منطق الاستخارة، غير أن الصلاة والدعاء

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد والدرامى .

يهيئان القلب لاستقبال خطرات الحق بفعل الخيرات[١] . .

وعلى هذا فإن استفتاء اللُبّ بعد الصلاة والدعاء مع الاستشارة التى سبق بين مشروعيتها وكيفيتها تضيق مجارى الشك والشر فى نفس العبد وتوسع مجارى العزم والخير فيها . .

يقول ضابئ بن الحارث البرجمى :

وفى الشك تفريط، وفى الحزم قوة

ويخطئ فى الحدْس الفتى ويصيب

فإن مال قلب العبد إلى شئ لم تكن نفسه تهواه من قبل الاستخاره فليتذكر قول الله تعالى : ﴿ . . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ . . فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾[٣] . وليرضى بما قضاه الله عليه، فقد كان ﷺ يدعو : « . . وأسألك الرضا بعد القضاء . . » .

لأن الرضا هونهاية التوكل، ولأن الرضا- كما يقول الجنيد- هو رفع الاختيار، ولأن الرضا- كما يقول المحاسبى - هو سكون القلب تحت مجارى الأحكام .

فإذا سكن القلب إلى ما اختاره الله تعالى لعبد، دلَّ ذلك على صحة التوكُّل . .

---

(١) أنظر الأنباء : ٧٣ .
(٢) البقرة : ٢١٦ .
(٣) النساء : ١٩ .

يقول الحسن رضى الله عنه : (من اتكل على حُسْن اختيار الله تعالى له، لم يتمنَّ غير ما اختاره الله عز وجل) .

ويقول لبيد :

فاقنع بما قسم المليك فإنما   قسم المعايشَ بيننا علاَّمُها

وذلك لأن أحد ثمار التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكَّل أمره إلى الله ورضى بما يقضيه له ويختاره فقد حقق التوكل . .

وليس معنى هذا القعود وانتظار الإلهام والرؤى، فإن ذلك من الأوهام الشائعة التى ليس لها سند صحيح، وإنما على المرء أن يتحقق فيه صفات المؤمن القوى الذى قال عنه رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1] .

وعلى العبد أن يُذْعِن لقول الله تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكَّل على الله ﴾[2] .

ولا يتعلل بعجزه أو بمحدودية قدراته أو بقصور أسبابه، أو تَطيُّره . .

يقول السموأل :

وقد يدرك الأمر غير الأريب   وقد يصرع الحوَّلَ القُلَّبُ

---

(١) رواه مسلم .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

ولكن لها آمر قادر إذا حاول الأمرَ لا يغلبُ

لأن عاجز الرأى كما قال الرياش:

وعاجز الرأى مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدر

وكل ما على العبد أن يجمع نفسه آحداً بكل الأسباب المتاحة له والموصِّلة لما يرتجيه بكل عزم وتصميم..

وليكن كما قال شبيب بن برصاء:

ولا خير فى العيدان إلا صلابها ولا ناهضات الطير إلا صقورها

وليعمل بوصيَّة طَرَفَة بن العبد:

إذ ما أردت الأمر فامض لوجهه وخل الهوينى جانباً متنائياً

ولا يمنعنَّك الطير مما أردته قد خُطَّ فى الألواح ما كنت لاقياً

ويظهر أثر الاستخارة فى تيسير الأمر وتكاتف الأسباب لإتمامه.. أو العكس!! أى تعسيره وتكاتف الأسباب للانصراف عنه وعدم إتمامه..

يقول القطامى:

وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

ويقول الله عز وجل: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ [1].

فإذا يسر الله تعالى الأمر ليقبل عليه العبد بكل عزم غير هَيَّاب ولا

---

(١) الأعلى: ٨.

وَجِل، فإن في هذا الإقدام نفى للشك والارتياب والحيرة وخشية العواقب.. وليكن كما قال سعد بن ناشب المازني:

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمة ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وإلا كان كما وصفه الشاعر كالبهيمة فى وسط القطيع يسوقه القائد..

يقول محمد بن أبى شحاذ الضبى:

إذا العزم لم يُفرِّج لك الشك لم تزل جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد

أما إذا تعسَّر الأمر وغُلِّقت الأبواب وذهبت الأسباب، فليعلم العبد أن الخير فى غيره، وأن الأبواب لابد سوف تفتح فى مواطن الخير، وأن الرضا هو من آثار يقينه لا محالَةَ..

يقول زيد بن زياد العذرى:

إذا خِفْتَ شك الأمر فارم بعزمة عمايته يركب بك العزم مركبا

وإن وجهة سدت عليك فروجها فإنك لاقٍ لا محالة مذهبا

* * *

وعلى العبد أن يتجنب كل صور الاستخارة غير الشرعية التى تخالف ما نصَّ عليه حديث رسول الله ﷺ، فهى بدع مزعومة ومحرمة وأقرب إلى الشرك، كبدعة كتابة وريقات والقرعُ بينهنَّ، أو بدعة فتح المصحف على أى صفحة... إلى آخرتلك الصور وما يستجد منها..

آثار الاستخارة الشرعية:

يقول الله تعالى: ﴿ .. إن الحكم إلا لله، يقُصُّ الحق وهو خير الفاصلين ﴾[1] ويقول عز وجل: ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم ﴾[2].

فإن النفع والضر بيده سبحانه، ومن يبتغ الخير عنده يجده، وكل أمر يستخير العبد فيه ربه يعود عليه بالنفع والخير والسعادة لا محالة..

يقول رسول الله ﷺ: « من سعادة ابن آدم استخارة الله تعالى ورضاه بما قضى اللهو ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله »[3].

* * *

(١) الأنعام: ٥٧ .

(٢) يونس: ١٠٧

(٣) رواه أحمد فى المسند، وحسنه الحافظ فى بن حجر فى فتح البارى.

اقتضت رحمة الله تعالى أن يبعث الأمل دائماً فى نفوس بنى آدم، ويمنع عنهم اليأس والقنوط بفتح أبواب التوبة والاستغفار والتكفير..

معنى التوبة:

تاب إلى الله يتوب: من تبا توباً وتوبة ومتاباً أى رجع عن المعصية..

وتاب الله عليه: عاد بالمغفرة عليه، وأرجع عليه بفضله وقبل توبته وغفر له، فالله هو التواب..ففى التوبة معنى الرجوع: العبد يرجع عن ذنبه، والله يرجع برحمته وغفرانه[1] .

يتفق معنى «التوبة» فى اللغة مع معناها فى الشرع..

تعريف التوبة:

يقول الراغب الأصفهانى: التوبة هى ترك الذنب على أجمل الوجوه.. وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فالاعتذار ثلاثة أوجه:

- أن يقول المعتذر :لم أفعل .

- أو يقول: فعلت لأجل كذا.

---

(١) بتصرف من معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص ١٦٧ .

- أو يقول: فعلت وأسألت وقد أقلعت.

وهذا الوجه الأخير هو التوبة[١].

- ويقول الجنيد: «التوبة» أن لا تنسى ذنبك.

- ويعرفها البوشنجي من زاوية أخرى بقول: إذا ذكرت الذنب ثم لاتجد حلاوه عند ذكره، فهى التوبة.

ويصف ذو النون حقيقة التوبة بقوله: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رَحُبَت حتى لا يكون لك قرار.. ثم تضيق عليك نفسك حتى لا تجد ملجأ من الله إلا إليه كما أخبر الله تعالى عن الثلاثة الذين خُلِّفوا فى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا، إن الله هو التواب الرحيم﴾[٢].

وهذا يتفق مع قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه)[٣].

* * *

وجوهر ما تقدم هو أن التوبة هى أول درجة من دَرْج الصعود إلى

---

(١) المفردات فى غريب القرآن.

(٢) التوبة: ١١٨.

(٣) متفق عليه.

الحق تبارك وتعالى..

والتوبة- كالاستخارة - هى خير للمسلم..

يقول الله تعالى: ﴿ .. فإن يتوبوا يكن خيرا لهم، وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليما فى الدنيا والآخرة، ومالهم فى الأرض من ولىّ ولا نصير﴾[1].

شروط التوبة:

للتوبة ثلاث أركان، إذا انهدم ركن منها لم تقم للتوبة قائمة، وهذه الأركان هى:

١- الندم على المخالفات.

٢- ترك الزلة فى الحال.

٣- العزم على عدم العود.

أما التوبة النصوح، فهى تلك التوبة التى تُدخل صاحبها الجنة بعد أن تُسْبغ عليه من النور والبهاء ما يجعله يسعى مشعاً بين يدى العبد المؤمن وبيمينه..

وأركان التوبة النصوح ثلاثة هى:

أولا: الإقلاع الفورى عن اقتراف الذنب

الثانى: العزم الأكيد على عدم العودة إليه

(١) التوبة: ٧٤.

الثالث: المبادرة الحاسمة للتخلص من كل ما يؤدى إليه من أسباب.

يقول الله تعالي: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا، إنك على كل شئ قدير﴾[1].

* * *

ومن شروط قبول التوبة التى أوجبها الله تعالى على نفسه هو أن يتوب العبد من قريب بعد علمه بأن ما فعله معصية مباشرة..

يقول الله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبونه من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليما حكيماً﴾[2].

ومن شروط قبول التوبة أن لا يكون التائب قد حضره الموت بالغرغره ونحوها وقت توبته.

يقو ل تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾[3].

(١) التحريم: ٨.
(٢) النساء: ١٧.
(٣) النساء: ١٨.

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1] ومن الشروط العامة والبديهية للتوبة أن لا تطلع الشمس من مغربها..

يقول ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2].

والحكمة من الشرطين الأخيرين أن التكليف الإلهى وقبول الأعمال ينتهيان عند الاحتضار وظهور علامات الساعة الكبرى، فلا تكون هناك فرصة للتائب كى يعمل صالحاً، فإن الإصلاح شرط مكمل للتوبة ومصحح لها وداعٍ إلى قبولها..

يقول الله سبحانه: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾[3].

أنواع التوبة:

يقول ذو النون المصرى: (التوبة للعوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواص تكون من الغفلة).

فكل توبة تكون بقدر الذنوب أو السيئات، وكذلك تأتى المغفرة أو التكفير كمطهرات منها..

فما الفرق بين السيئات والذنوب؟

(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه مسلم.
(٣) المائدة: ٣٩.

وما الفرق بين التكفير والمغفرة؟

السيئات هى صغائر الذنوب..

والذنوب هى الكبائر..

والتكفير يكون للسيئات، والمغفرة تكون للذنوب..

يقول الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾[1].

ويقول ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[2].

و«المغفرة» أكمل من «التكفير» وأشمل وأكثر استغراقاً، فإن المغفرة يتضمن الوقاية والحفظ من كل الذنوب والسيئات، والتكفير يتضمن الستر والزالة لبعض السيئات ولا يستغرقها جميعاً..

يقول الله تعالى: ﴿ليكفر عنهم أسوأ الذى عملوا..﴾[3].

ويقول عز وجل: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾[4].

ويقول ﷺ: «ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا غمٍّ ولا أذىً – حتى الشوكة يشاكها– إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

(١) النساء: ٣١.

(٢) رواه مسلم

(٣) الزمر: ٣٥.

(٤) محمد: ٢.

فهناك ثلاثة أنهار عظام للتطهر فى الدنيا :

الأول : نهر التوبة الصادقة.

الثانى : نهر الحسنات المستغرقة للأوزار والذاهبة بالسيئات.

الثالث : نهر المصائب العظيمة والصغيرة المكفرة..

فإن لم تَفِ هذه الأنهار بتطهير العبد فى الدنيا طُهِّر - والعياذ بالله - فى نهر الجحيم يوم القيامة..

وإذا أراد الله بعبده خيراً، أدخله من الأنهار الثلاثة ما يكفى لتطهيره حتى يَرِد القيامة طيباً طاهراً..

طبقات التائبين:

قسم حُجَّة الإسلام أبو حامد الغزالى التائبين إلى أربع طبقات :

الطبقة الأولى: تائب استقام على التوبة إلى آخر عمره، فتدارك ما فرط من أمره، فهو صاحب نفس مطمئنة..

يقول الله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾[1].

الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إلا أنه لا ينفكُّ عن صغائر ذنوب تعتريه دون عَمْد ولا قصد، فهو من ذوى اللمم المعفو عنهم..

يقول الله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، ونعم أجر العاملين ﴾[1].

الطبقة الثالثة: تائب يستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوات فيقترف بعض الذنوب دون قصد فيندم عليه ويلوم نفسه، فهو صاحب نفس لوامة،وهؤلاء يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم ﴾[2].

الطبقة الرابعة: تائب يجرى مدة على الاسقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير لوم ولا أسف على فعله..

وصاحب هذه الطبقة جدير أن يكون داخلاً تحت من قال الله تعالى فيهم: ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾[3].

كيفية صلاة التوبة وأثرها:

التوبة من الذنوب واجبة على الفور لا على التراخى، لأن تأخيرها استمرار للمعصية وإصرار عليها، والاستمرار على المعصية معصية يجب قطعها بالتوبة.. وذلك لأن العبد إذا فرغ من المعصية ولم يندم عليها

---

(١) آل عمران: ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) التوبة: ١٠٢ .

(٣) السجدة: ١٢ .

ويعزم على عدم العود إليها فهو- فى هذه الحالة- محب لها، راض بها، مشتاق لمعاودتها. . ، كل هذه ذنوب لا تنقطع إلا بالندم والعزم على عدم العود فوراً. .

يقول رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله. .»[1] وسر هذا النداء النبوى المطلق هو أن بنى آدم ليسوا ملائكة لا يعصون، ولا هم بشراً معصومين، وإنما كما قال ﷺ: «كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون»[2].

فالعبد مفطور على الخير غير أن الخطأ والنقص جزء من خلقته والتوبة والاستغفار هى عبادة لله تعالى والتى من أجلها خلقنا. .

يقول رسول الله ﷺ: والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[3].

وتجئ الحكمة واضحة فى حقيقة: الخطأ والتوبة. . أو الذنب والاستغفار.

من قوله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الجنة».

قيل: يا رسول الله، وكيف يدخله ذنبه الجنة؟!.

قال: «لا يزال نصب عينيه تائباً منه، هارباً منه، حتى يدخله الجنة»[4] ولهذا لما سُئل سعيد بن جبير: من أعبد الناس؟ قال: (رجل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد والطبرانى.

أصاب من الذنوب فإذا ذكرها اجتهد) .

لهذا كان باب التوبة مفتوحاً ليل نهار لا يغلق فى وجه أحد ولا فى أى وقت . .

يقول ﷺ : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[1] .

والوضوء الصحيح التام وسيلة من وسائل التطهير التام، وتأتى الصلاة بعده كمتمم له، ثم تأتى التوبة والاستغفار على وجهها الصحيح التام الذى يؤكد المرحلتين السابقتين- الوضوء والصلاة- فتكون المغفرة التامة بعد أن صدق سائر أجزاء البدن : طهارة الجسد بالاغتسال، ثم طهارة الجوارح بالوضوء، ثم طهارة القلب بالنية والتوجه وتحريك سائر أجزاء البدن والمفاصل واللسان بالذكر . .

ومن هنا جاءت « صلاة التوبة » لتكون بمثابة إعلان عن الرجوع والخضوع والخشوع، وتكون بمثابة تطهير مادى ومعنوى . .

يقول الله تعالى : ﴿ . . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[2] لأن خطأ ابن آدم هو شر أوقع نفسه فيه، ودنَسٌ قد أصاب قلبه، وظلمٌ ظَلَمَ به نفسه، فأغضب بهذا الذنب ربه، الأمر الذى يوجب عليه التطهر والتوبة .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

الأحاديث:

١- عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقول فيتطهر ثم يصلى - فى رواية ابن حبان والبيهقى وابن خزيمة: ركعتين- ثم يستغفر الله إلا غفر له».

٢- عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعاً، مكتوبة أو غير مكتوبة، يحسن فيهن الركوع والسجود، ثم استغفر الله، غفر له» رواه الطبرانى بسند حسن.

٣- عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ قال: «ما من عبد موقن يذنب ذنباً فيتطهر فيحسن الطهور ويصلى ركعتين ويستغفر الله، إلا غفر له» رواه أحمد والبيهقى..

فأحاديث صلاة التوبة لها طرق عديدة يقوى بعضها بعضاً، وقال الذهبى عن أحد هذه الطرق المروية عن علّى بن أبى طالب رضى الله عنه: صحيح ما فى رواته مجروح.

وصيغ الاستغفار التى وردت عن النبى ﷺ كثيرة، من هذه الصيغ:

- «أستغفر الله»

- « رب اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الغفور»

– « اللهم اغفر لى وارحمنى ».

– وسيد الأستغفار: عن شداد بن أوس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: « سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء بذنبى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ».

من قالها موقنا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقناً حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة »[1].

* * *

فالتوبة طريق الهداية، وصلاة التوبة نجاة من الضلال..

يقول الله تعالى: ﴿ قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب ﴾[2].

والتوبة طريق للإصلاح على المستويين الدنيوى والأخروى..

فعلى المستوى الدنيوى هى وسيلة لتفريج الهموم والكروب والأحزان، كما أنها وسيلة لجلب الرزق.

يقول رسول الله ﷺ: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فَرَجًا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب »[3].

---

(١) رواه البخارى:

(٢) الرعد: ٢٧.

(٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه

وهى وسيلة للثراء وكثرة البنين..

يقول تعالى: ﴿ .. استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾[1].

والتوبة الصادقة وسيلة لإسقاط العقوبات الدنيوية عن جرائم حددت لها الشريعة حدوداً، أووضع لها الإمام تعزيرات..

فهى طريق للإصلاح والتهذيب، وتعود بالعبد عضواً صالحاً فى المجتمع مليئاً بالأمل المتجدد، والروح الوثابة، والهمَّة العالية، والعزم القوى، وتخلصه من أثقال المعاصى وتعيده إلى أحسن تقويم، فهى تصقل قلب العبد..

يقول سبحانه: ﴿ والتين والزيتون، وطورسينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، فما يكذبك بعد بالدين، أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾[2].

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾[3].

---

(١) نوح: ١٠ – ١٢ .
(٩٢ سورة التين .
(٣) الزمر: ٥٢ – ٥٣ .

ويقول ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

أما على المستوى الأخروى، فهى الجنة..

يقول رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره فى أرض فلاة»[2].

أى حين يجد هذه البعيرة بعد فقده فى الصحراء ..

يقول عزَّ وجلَّ: ﴿قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾[3].

* * *

(١) رواه ابن ماجه.
(٢) متفق عليه.
(٣) الرعد: ١٣٠ .

هى صلاة حثت عليها السُّنَّة الصحيحة لما فيها من الخير الكثير والنفع العميم والفضل العظيم، فهى- كصلاة التوبة- وسيلة لمغفرة الذنوب، وتتميز عنها بمغفرة الذنوب القديمة المنسية أو المجهولة إلى جانب الذنوب القريبة المعلومة.. كما فصَّل صدر الحديث النبوى..

وهى صلاة غفل عنها كثير من المسلمين، إما لعدم معرفتهم بها أصلاً، وإما لظنهم غناهم أو استغناؤهم عنها بغيرها من أنواع القُربات!!..

وذلك رغم أن «صلاة التسبيح» تحتل مكانة أفضل بكثير من أنواع قُربات أخرى كالذِّكْر المجرد أو الاستغفار المجرد، والصلوات الراتبة..

معنى التسبيح:

جاء فى «تاج العروس»: «التسبيح»: التنزيه.. وسبحان الله: تنزيه الله تعالى عن كل مالا ينبغى أن يوصف به من العيوب والنقائص.

وقيل: سبحان الله هى السرعة إليه والخفة فى طاعته، قال الراغب فى المفردات: أصله فى المرِّ السريع، فاستعير للسرعة للعمل، ثم جعل للعبادات قولاً وعملاً..

والتسبيح قصد به إظهار العبودية واعتقاد التقدس والتقديس، أو إنشاء نسبة القدس إليه تعالى.. لذا قيل: إنه تنزيه بليغ من قطع النظر

عن التـأكـيـد .. وقـال ابـن جني : « سـبـحـان » اسم علم لمعنى البـراءة والتنزيه.

و (سبَّح الرجل) قال : سبحان الله ..

و(سُبُّوح) : الذى ينزَّه عن كل سوء.

و (السُبُحَات) : مواضع السجود.

و (سُبُحات وجه الله) : أنواره وجلاله وعظمته ..

و (سُبُحات الوجه) : محاسنه، لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلت : سبحان الله! ..

و (السُبْحة) : الدعاء وصلاة النافلة والتطوع ..

وسُميت الصلاة تسبيحاً لأن التسبيح والصلاة تعظيم لله وتنزيهه من كل سوء(١).

وقال ابن الأثير : (سبحة الله) جلاله، و (التسبيح) قد يطلق ويراد به الصلاة أو الذكر والتحميد والتمجيد(*) ..

وهو ما يتفق مع معنى « صلاة التسبيح » ..

والفعل (سبح) له أصلان :

الأول : جنس من العبادة وهو « السبحة » بمعنى الصلاة، ويختص

---

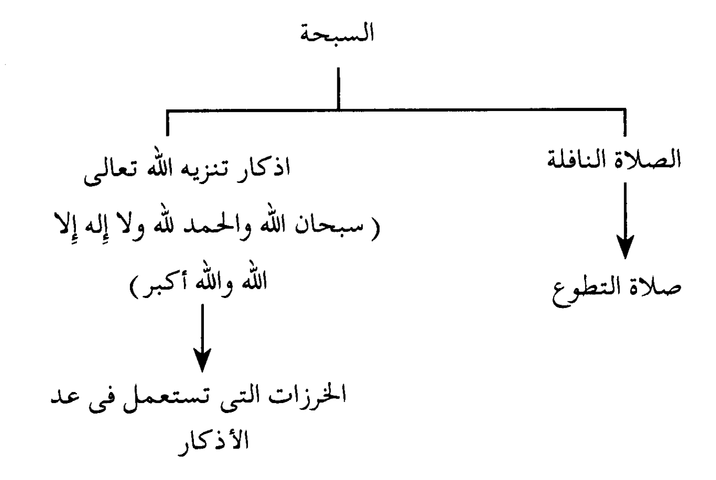
(١) أما السُبحة بمعنى الخرزات التى يسبح بها فلم يعرفها العرب قديما وإنما أحدثت في عصور متأخرة.

* تاج العروس للزبيدى باب الحاء.

بها ما كان نفلاً غير فرض، والتسبيح- كما سبق- هو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء والتنزيه هو التعبد . .

والسبحة بمعنى الصلاة وردت فى كثير من الآيات، وقد صرح بها ﷺ حينما سمى صلاة الضحى « سبحة الضحى »[1].

وإليكم تطور معنى لفظه السبحة عن المسلمين حتى يومنا هذا



ولم يبق من هذه المعانى إلا المعنى المحدود وهو الخرزات!! واندثرت بقية المعانى عن قلوب المسلمين!! رغم أن المعانى الثلاثة الغائبة هى التى لها أصل فى اللسان والشرع، والمعنى الرابع ليس كذلك!! . .

والأصل الثانى للفعل سبح بمعنى السعى، وقد سبق عرضه.

---

(١) رواه مسلم .

فصل ذكر الله والتسبيح:

اقتران ذِكْر الله بالصلاة أمر لا يحتاج إلى برهان، لأن الصلاة نفسها ذِكْر وتسبيح وتنزيه، وهى فى نفس الوقت تطهير وتزكية للعبد..

يقول الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى﴾[1].
والتسبيح بمعنى السعى والإسراع مقترن بالمغفرة والتوبة..

يقول الله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾[2].

والتسبيح ذكر، والذكر صلاة، والصلاة تسبيح..

يقول الله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾[3].

ويقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾[4].

وهذه الأذكار تتحول- حين تغيب الأموال- إلى صدقات تُطَهِّر أصحابها!..

فعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلُّون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال:

(١) الأعلى: ١٤ ١٥ .
(٢) آل عمران: ١٣٣ .
(٣) الإنسان: ٢٥ – ٢٦ .
(٤) الأحزاب: ٤١ – ٤٢ .

«أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون.. إن بكل تسبيحه صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بمعروف صدقة..»[١].

ولما شكى رجل إلى النبى ﷺ قائلاً: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ..

قال ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[٢].

كيفية صلاة التسبيح:

عن أبى مالك الحرث بن عاصم الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهورشطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه: فمعتقها أو موبقها»[٣].

وصلاة التسبيح تحتوى على كل ما فى الحديث من خير، وبالتالى فقد جعلها الشرع باباً واسعاً جداً للمغفرة والتوبة..

وصلاة التسبيح أربع ركعات بسلام واحد (أربع ركعات متتالية) أو بسلامين (ركعتين ركعتين) يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وسورة، ثم يسبح قائماً خمس عشرة مرة يقول:

سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. ويسبح فى الركوع عَشْراً،وفى الرفع منه عَشْراً، وفى السجود عَشْراً، وبين السجدتين عَشْراً، وفى السجدة الثانية عَشْراً،وفى جلسة الاستراحة قبل القيام أو قبل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد بلفظه، والترمذى وابن ماجه وابنحبان.

(٣) رواه مسلم.

التشهد عشراً، فهى خمسة وسبعون تسبيحة يفعل ذلك فى كل ركعة.

الحديث: عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: «يا عباس! يا عماه! ألا أعطيك؟! ألا أمنحك؟! ألا أحبوك؟! ألا أفعل بك عشر خصال[1]؟! إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، وقديمه وحديثه، وخطأه وعمده، وصغيره وكبيره، وسره وعلانيته.. عشر خصال.. أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة. فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة فقل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة.. ثم تركع فتقول وأنت ركع عشراً[2]، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً[3] ثم تهوى ساجداً فتقول وأنت ساجد عشراً[4] ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً[5]، ثم تسجد فتقولها عشراً[6]، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً[7]، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات.. وإن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففى كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة».

---

(١) أي أعلمك ما يكفر عشر أنواع من ذنوبك.
(٢) بعد أذكار الركوع.
(٣) بعد حمد الله تعالى.
(٤) بعد أذكار السجود.
(٥) بعد الدعاء
(٦) بعد أذكار السجود.
(٧) قبل القيام أو قبل التشهد.

رواه أبو داود والحاكم وابن ماجه وابن خزيمه فى صحيحه والطبرانى والترمذى والبيهقى.. وقد حسن الحافظ ابن حجر طرقاً يقوى بعضها بعضاً فى الأجوبة على المصابيح فى الحديث الثالث والمطبوعة من مصابيح السنة..

قال الحافظ: (وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة، وعن جماعة من الصحابة وأمثلها حديث عكرمة هذا، وقد صححه جماعة، منهم الحافظ أبو بكر الآجرى، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصرى، شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدس رحمهم الله).

وقال عبد الله بن المبارك: (صلاة التسبيح مُرغَّب فيها، يستحب أن يعتادها فى كل حين ولا يتغافل عنها).

* * *

صلاة كسوف الشمس والقمر من السنن التى ينبغى على المسلمين إحياءها، وينبغى على العلماء الاهتمام بها تبليغا وتعليماً وإقامة..

اهتمام علماء المسلمين بها:

كسوف الشمس وخسوف القمر ظاهرتان فلكيتان، لا يمكن معرفة موعدهما إلا بحساب حركات القمر والشمس واستعمال الأزياح المتقنة، لذلك اهتم علماء المسلمين بهاتين الظاهرتين لارتباطهما بسنة صحيحة وصلاة عظيمة فى الإسلام..

يقول العالم الفلكى البديع الاسطرلابى(١) :

كن كيف شئت فإنى ... قد صنعت قلباً من حديد

وقعدت أنظر الكسوف ... وليس ذلك من بعيد

ومن مظاهر هذا الاهتمام تصنيفهم كتب كثيرة حول هاتين الظاهرتين، من هذه المصنفات:

- كتاب فيما يظهر من القمر من آثار الكسوف وعلاماته.
- كتاب فيما أغفله «ثاون» فى حساب كسوف الشمس والقمر.
- مقالة فى حساب خسوف القمر والشمس...

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن يوسف الأسطرلابى.

وهذه المصنفات الثلاثة للعالم: ثابت بن قرة.

- كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.. للقزوينى.
- كتاب صور الكسوف .. لابن الهيثم.
- كتاب الأنوار .. لابن سيده .
- فصل بعنوان: الكسوف والخسوف، وحساب رؤية الهلال فى كتاب «القانون المسعودى» .. للبيرونى.

تعريف كسوف الشمس وخسوف القمر:

جاء فى الموسوعة العربية الميسرة[1] تحت عنوانك «الكسوف والخسوف» ما يلى:

احتجاب ضوء جرم سماوى كليا أو جزئياً نتيجة مرور جرم آخر بينه وبين الأرض، ويطلق الخسوف للقمر والكسوف للشمس والنجوم[2]، والسبب فى كسوف الشمس وخسوف القمر أن الأرض والقمر مظلمان، فإذا مر القمر فى ظل الأرض حدث خسوف، وإذا مرت الأرض فى ظل القمر حجب الشمس عنها وحدث كسوف.

ويحدث الخسوف حينما يكون القمر بدراً وتشاهده جميع البلدان التى يكون فيها فوق الأفق، أما الكسوف فيحدث أو الشهر العربى بشرط ألا يزيد بُعد الشمس عن عقدة مسار القمر، وأن تكون المسافة

(١) الجزء الثانى صفحة ١٤٦٣ وما بعدها..

(٢) الاستعمال الشائع جعل الكسوف والخسوف للشمس والقمر كما هو واضح من عناوين المصنفات

بين الأرض والقمر صغيرة حتى تمر فى ظله .

ويشاهد الكسوف فى أوقات مختلفة من أماكن متعددة نتيجة لحركة ظل القمر من المشرق إلى المغرب .

ويحدث الكسوف الكلى فى مكان معين كل أربعمائة عام تقريباً، وأكبر فترة لاستمراره $\frac{1}{2}$ ٧ دقائق (سبعة دقائق ونصف) وذلك عند خط الاستواء والشمس عمودية عليه .

والكسوف الجزئى سببه وجود منطقة شبه ظل حول مخروط الظل، وفى تلك المنطقة تكون هناك إضاءة من جزء من قرص الشمس، بينما لا توجد فى مخروط الظل أشعة مباشرة منها، فإذا وقع مكان فى مخروط الظل شوهد الكسوف كليا، وإذا وقع فى شبه الظل كان الكسوف جزئيا . . وفى الحالة الأخيرة إذاكان البلد على امتداد الخط الواصل من مركزها الشمس إلى رأس المخروط كان الكسوف حلقيا (أى يكون قرصاً مظلماً فى الوسط تحيط به حلقة منتظمة مضيئة) .

وفى حالة القمر إذا انغمس كله فى مخروط ظل الأرض حدث خسوف كلى، وإلا كان جزئياً . . وتبدو حافة ظل الأرض على سطح القمر جزءاً من دائرة .

وعن الكسوف الكلى يبدو من قرص الشمس هلال دقيق، وتظهر على الحافة الشرقية للشمس بقع مضيئة لبضع لحظات، ثم تظلم السماء وتبدو النجوم لامعة، ويشاهد الإكليل الشمس والنتوءات، وحينما

يبدأ القمر فى الابتعاد تظهر البقع المضيئة على الحافة المقابلة . .) .

ولمزيد من الإيضاح نقول أن القمر يسبب كسوف الشمس عندما يكون فى المحـــاق ويمر بالخط الهندسى الظاهر الذى يربط الأرض بالشمس . . والأرض تسبب خسوف القمر عندما يكون القمر بدراً ويمر بهذا الهندسى حيث تلقى الأرض بظلها على القمر ولا يعود بإمكاننا أن نراه .

بيان حكمتها:

لصلاة الكسوف أكثر من جانب من جوانب الحكمة . .

– فمن ناحية ترتبط مواقيت عبادات كثيرة بحركة الشمس، ورؤية الهلال كالصلوات الخمس، والحج، والصيام، والزكاة[١] . .

– ومن ناحيـة أخرى فقد حضّ الإسلام على النظر فى ملكوت السمـوات والأرض، والتأمل فى آيات الله تعالى فى الأنفس والآفاق، وبرهن عز وجل على وحدانيته بالاستشهاد بتلك الآيات التى تدل على مدى قدرته وعظمته . . وآية كسوف الشمس وآية خسوف القمر لهما من داعى خشوع قلب الإنسان وسجوده لصانعهما القدير . .

– دعوة الإسلام هى توحيد الخالق، لذلك كان تحريم الإسلام لأى أثر إيمانى بالكواكب والنجوم بالنسبة لطبيعتها أو بالنسبة للإنسان، ورفض أى نوع من أنواع التقديس أو الإرادة لها، وجعلها آيات من آيات الله .

(١) يشترط مرور عام قمرى (هجرى لى زكاة المال .

يقول الله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[١] .

فباسم الله تحدث هذه الظواهر، وبإرادته يسبح الشمس والقمر والأرض فإذا كسف الشمس أو القمر كان التوجه السريع إلى خالقها بالصلاة والذكر والدعاء وأنواع العبادات والقُربات إعلاناً عن الولاء الكامل والتوحيد الخالص والعبودية المجردة لخالق هذين المخلوقين.. تجديداً للإعلان وتصفية للقلب..

يقول الله تعالى: ﴿فإذا برق البصر. وخسف القمر وجمع الشمس والقمر، يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾[٢].

فظاهرة إظلام القمر (الخسوف)، وظاهرة اجتماع الشمس والقمر، علامة من علامات يوم القيامة، وظاهرة من ظواهرها..

لذا كان رسول الله ﷺ يأمر إذا رأى الصحابة الكسوف أن يتعوذوا من عذاب النار وعذاب القبر[٣].. لأنها تذكرهم بيوم القيامة..

ولم يكن هذا يقتصر على ظاهرة الكسوف فحسب، وإنما كان بالنسبة لكل الظواهر الكونية التى تشبه علامات القيامة وظواهرها المفزعة كالزلازل والصواعق والرياح الشديدة والبراكين.. أو نحو ذلك

---

(١) يونس: ٥ .

(٢) القيامة: ٧-١٠ .

(٣) رواه السته.

من الأهوال، لأنها آيات من الله تعالى يخِّوف الله بها عباده ليتركو المعاصى ويرجعوا إلى طاعته.

وكان رسول الله ﷺ يفزع إلى المسجد حتى تزول وتنكشف هذه الظواهر، وكأن يأمر المسلمين بهذا..

عن النضر قال: كانت ظلمة على عهد أنس فأتيته فقلت: يا أبا حمزةَ، هل كان هذا يصيبكم على عهد رسول الله ﷺ. فقال: معاذَ الله! إن كانت الريح لتشتد فنبادر إلى المسجد مخافة أن تكون القيامة[1].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا كانت ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح، وإذا حدث فى السماء حدث من خسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلى[2].

ويُنْدب صلاة ركتين مثل ركعتى الكسوف أثناء حدوث هذه الظواهر..

كيفية صلاة الكسوف:

ليس لصلاة الكسوف أذان ولا إقامة.. وقد يُنَادى لها: «الصلاة جامعة» وهى سُنَّة مؤكدة فى حقِّ الرجال والنساء، ووقتها من حين الكسوف للشمس أو للقمر إلى التجلى..

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه الطبرانى.

والجماعة ليست شرطاً فيها، ويستحب أن تكون فى جماعة..
والجمهور من العلماء على أنها ركعتان فى كل ركعة ركوعان والجهر بالقراءة فيحالة إقامتها فى جماعة والخطبة ليست شرطاً فى صلاة الكسوف..

ويستحب التكبير والدعاء والتصدق والاستغفار والإكثار من ذكر الله عز وجل..

يقول رسول الله ﷺ :«إن الشمس والقمر آيتان من ايات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وتصدقوا وصلوا»[1].

وعن أبى موسى الأشعرى قال: خسفت الشمس فقام النبى ﷺ فصلى وقال: «إذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»[2].

وتأتى صلاة الكسوف للشمس والقمر على السواء..

فقد روى الحسن البصرى أن ابن عباس رضى الله عنهما قد صلى صلاة الكسوف حين خسف القمر وقال: (إنما صليت كما رأيت النبى ﷺ يصلى)[3].

وصلاة الكسوف تختلف عن بقية الصلوات فى كيفية إقامتها.

ففى كل ركعة يركع العبد فيها ركوعين، كل ركوع يقرأ فيه بفاتحة الكتاب وسورة..

الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها قالت : خسفت الشمس فى حياة النبى ﷺ ، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقام، وصفَّ الناس وراءه، فكبَّر فاقترأ قراءة طويلة[1]، ثم كبَّر فركع ركوعاً طويلاً[2] هو أدنى من القراءة الأولى، ثم رفع رأسه فقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم قام فاقترأ قراءة طويلة هى أدنى من القراءة الأول[3]، ثم كبَّر فركع ركوعاً هو أدنى من الركوع الأول[4]، ثم قال[5] : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم سجد، ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركعات[6] وأربع سجدات[7]، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف، ثم قام فخطب الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة» .

متفق عليه

وهذه الخطبة التى ذكرتها السيدة عائشة قالها ﷺ لما قال الناس إن

---

(١) الفاتحة وسورة طويلة بعد دعاء الاستفتاح .

(٢) الركوع الأول فى الركعة الأولى .

(٣) القراءة الثانية فيها الفاتحة وسورة أقصر من السورة فى القراءة الأولى .

(٤) هذا هو الركوع الثانى فى الركعة الأولى .

(٥) أى قيام من الركوع رافعاً رأسه فقال . .

(٦) تقصد فى الركعتين لكل ركعة ركوعان .

(٧) لأن كل ركعة بها سجدتان كسائر الصلوات المكتوبة والراتبة .

الشمس انكسفت لموت ولده إبراهيم.

وهو ما يفسره المغيرة بن شعيبة رضى الله عنه قائلاً: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم!! فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من ايات الله عز وجل لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا الله تعالى وصلّوا حتى ينجلى»[1].

ومن هنا لم تكن الخطبة شرطاً فى صلاة الكسوف، ومما يدل على ذلك أيضاً جواز إقامتها فى البيت أو فى المسجد فى غير جماعة..

والجماعة أفضل..

* * *

(١) متفق عليه.

أنواع الحاجات :

حاجة العبد إلى الله تعالى لا تنتهى، وهى ليست حاجة واحدة وإنما هى حاجات متعددة، ومن مظاهر التوحيد أن يلتمس العبد المسلم كل حاجاته من مولاه عز وجل . .

وهذه الحقيقة قد توصل إليها علماء الاقتصاد، فذهبوا إلى أن حاجات الإنسان لا نهائية، وأنه لا يمكن إشباعها، وبنوا على هذا الأساس نظرياتهم ونظمهم الوضعية . .

وكما قسم الاقتصاديون الحاجات إلى سلع وخدمات، فإن الإسلام قد قسمها إلى حاجات إلى الله تعالى، وحاجات إلى أحد من بنى آدم. وكلتاهما يلتمسهما العبد المسلم من الله عزّ وجلّ . .

يقول الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾(١) .

ويقول سبحانه : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ﴾(٢) .

موجبات الإجابة:

ويختلف سؤال الحافظ لله تعالى عن سؤال المضيِّع الناسى، فإن

---

(١) البقرة : ١٨٦ . (٢) الأعراف : ١٩٤ .

الإنسـان كلٌ لا يتـجزأ، وله عـادات وأخلاق وسنن مطَّردة، وله مبـادئ وقـيم يؤمن بهـا ويحـدد بهـارؤاه، ومن هنا تأتى وسـائله فى إشـبـاع حاجاته . .

والطريقـة المثلى التى يعلِّمنا إياها رسـول ﷺ هى التى شرحـهـا لابن عمه الغلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . .

يقول عبد الله بن عباس : كنت خلف النبى ﷺ فقال لى : « يا غلام، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »(١) .

وفى رواية أخرى : « احفظ الله تجده أمامك، تعرَّفْ إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا »(٢) .

والعجيب أن يتوجه العبد المسلم إلى إنسان مثله بحاجته وهو يعلم أن هذا العبد يغضب ! ! فهو يجمع غضب الرب وغضب بنى آدم . .

يقول الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يُسأل يغضب

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه أحمد والحاكم

وها هى دعوته عزَّ وجلَّ فى الحديث القدسى :

« يا عبادى كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدونى أهدكم .

يا عبادى كلكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم

يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم .

يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفرلكم »[١] .

والتوجه إلى غير الله بالحاجات نوع من الشرك إذا ظن العبد بقلبه أن هذا الشخص هو مصدر إشباع الحاجة وليس الله عز وجل، وأن بنى آدم مجرد وسائل مسخرة . . كل مسخر للآخر . .

يقول الشاعر :

لا تخضعن لمخلوق على طمع   فإن ذاك مضر منك بالدين

واسترزق الله مما فى خزائنه   فإنما هى بين الكاف والنون

هذا إلى جانب أن بنى آدم- مهما كانت درجة قربه- إذ علم حاجتك وكانت مما ينقص قدرك أو منزلتك بين قومك، فإن الشماتة تكون فى قلوبهم حتى ولو لم تظهر على قسمات وجوههم .

يقول المتنبى :

ولا تشك إلى خَلْق فتشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرخم[٢]

كيفية صلاة الحاجة:

صلاة الحاجَةُ تُقام لتحقيق حاجة تشتد رغبة العبد فيها،وهى عبارة عن ركعتين مخصوصتين بقضاء الحاجة، حيث ينوى العبد بقلبه أنها سنة قضاء الحاجة .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الرخم : نوع من الطيور أبق يشبه النسر من آكلى الجيف،، يضرب به المثل فى الخسه والدناءه .

وقد ورد فى صلاة الحاجة أحاديث كثيرة منها:

– عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما، أعطاه الله ما سأل معجلاً أو مؤخراً»[1].

الحديث:

عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بنى آدم، فليتوضأ وليحسن وضوءه، ثم ليصل ركعتين، ثم يثنى على الله تعالى[2]، وليُصلِّ على النبى ﷺ[3]، وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تَدَعْ لى ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرجته، ولا حاجة هى لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.

ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء، فإنه يُدِّر»

أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه

وكلما اشتد حاجة العبد، كلما كان خشوعه وحرصه وإتقانه وتبتله

(١) روه أحمد بسند صحيح.

(٢) بعد السلام من الصلاة، وهى آداب كثيرا ما علمنا إياها رسول الله ﷺ للدعاء، وهى أن لا يطلب حاجته مباشرة، بل يثنى– أولاً– على الله تعالى بما هو أهله ويطنب فى الثناء والتبتل والتعظيم والتقديم والتقديس والتسبيح والتحميد ويصل فى ثنائه إلى منتهاه.

(٣) أفضل صيغ الصلاة عليه ﷺ هى صلاة التشهد الأخير.

أدعى لإجابة دعائه:

إذا اشتملت على اليأس القلوب   وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت   وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً   ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك، على قنوط منك، غوثاً   يمُنُّ به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات، وإن تناهت   فمقرون بها فرج قريب

محتويات الكتاب

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن — محمد فؤاد عبد الباقى

٣- أركان الإسلام — د. عبد الله شحاته

٤- تاج العروس — الزبيدى

٥- تعليم الصلاة — الصواف

٦- التفريع فى الفقه — ابن جلاب البصرى

٧- تنبه الغافلين — نصر الدين السمر قندى

٨- تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك — جلال الدين السيوطى

٩- التوبة .. وأثرها فى إسقاط الحدود — د. على جفال

١٠- التوكل على الله — د. ابن أبى الدنيا

١١- جامع العلوم والحكم — ابن رجب الحنبلى

١٢- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد محمد بن محمد بن سليمان

١٣- حجية السنة — د. عبد الغنى عبد الخالق

١٤- دائرة المعارف الإسلامية — مجموعة مؤلفين

١٥- دلائل الأحكام — بهاء الدين بن شداد

١٦- الرسالة القشيرية — تحقيق د.عبد الحيم محمود

١٧- الرعاية لحقوق الله — الحارث المحاسبى

١٨- زاد المعاد — ابن قيم الجوزيه

١٩- ففروا إلى الله — أبو ذر القلمونى

٢٠- فقه السنة — السيد السابق

٢١- الفقه على المذاهب الأربعة

٢٢- الفلك عند العرب والمسلمين	د.زين الدين متولى
٢٣- لسان العرب	ابن منظور
٢٤- المأثورات	حسن البنا
٢٥- مجموعة المعانى	إعداد عبد السلام هارون
٢٦- مدارج السالكين	ابن قيم الجوزية
٢٧- معجم مقاييس اللغة	ابن فارس
٢٨- منهاج المسلم	أبو بكر الجزائرى
٢٩- الموسوعة العربية الميسرة	محمد شفيق غربال
٣٠- موسوعة الشباب	مجموعة مؤلفين

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠٩٦٦ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١